



لوحة رقم (١٤) الفنان الأسباني سلفادور دالي - أكل لحوم البشر في الخريف

المرحلة الأولى : التحليل الوصفي

هذه اللوحة ذات التكوينات الأشكال الغريبة ، والمعقدة ، والمتداخلة مع بعضها البعض ، والتي لا تدركه أعيننا في العالم الدنيوي أو حياة العادية، التي رسمها الفنان الفرنسي (سلفادور دالي) (Salvador Dali) أحد أعمدة المدرسة السريالية ، في عام ١٩٣٦م ، تحت لحظة انفلات للمشاعر والأحلام ، وقد أسماها بمسمى " أكل لحوم البشر في الخريف " . فالتكوينات العامة للوحة تنحصر في شكل رأسين متداخلين بشكل مشوه أو غريب ، فربما يمثل هذان الرأسان رجلين أو زوجين . وقد يكون الاحتمال الأخير أقرب إلى الصحة ، ففي مركز سيادة اللوحة تقريباً نرى الرجل ذو الرأس الأصلع ، وقد بالغ في حجمه حتى وصل حد الضخامة ، وكذلك الحال بالنسبة لشكل الأذان الكبيرة ، ويعلو الرأس قطعة من الجلد أو اللحم ، وقطعة من الحجر ، فهذا الزوج قد لبس القميص ذو اللون الأبيض ، وقد مد ذراعيه إلى الأمام ، فاليد اليمنى تمسك بالشكل الأبيض الذي يتدلى إلى داخل الطبق النحاسي أو إناء الطعام ، واليد الأخرى تمتد ممسكة بالملقعة لتحتسي أو تأخذ

نصيبها من ذلك الشكل أو إناء الطعام . أما الزوجة عن يسار اللوحة ، ومرتدية الفستان ذو اللون الأحمر ، وهي تسند يدها اليسرى على كتف زوجها الأيسر و ممسكة بالسكين الخاصة بالطعام ، وتمسك بيدها اليمنى الشوكة ، كأنها في وضعية التهديد أو تنديد لزوجها ، ويوجد ما بين الزوجين مائدة بيضاوية الشكل ، وهي المائدة الخاصة للأكل ، وقد اختزل الفنان أجزاء كبيرة من أدواتها كما في شكل السكين ، والشوكة الموجودة أمام صدر الزوج ، وهذين الزوجين يجلسان فوق طاولة خشبية مستطيلة الشكل وقد تدلى منها الدرج الخشبي في الأسفل ، وكذلك الدرج الخشبي الموجد خلف الزوج ، ويعلو الطاولة كذلك أجزاء ملقاة من الصخرة الجبلية ، والجلد ، واللحم ، والكبد ، والكلى الآدمية بشكل بشع أو مقزز ، ويوجد خلف الزوجين مساحة مقفرة وصحراوية عن جهة اليسار ، وعن جهة اليمين يوجد بعض السلاسل الجبلية أو الصخرية ، ويبرز من خلال بيت صغير محاط بسيل من الدماء أو ربما بالحمم البركانية التي تشبه اللون الأحمر القاتم . نوفي أعلى اللوحة سماء صافية عدا الزاوية العلوية اليمنى حيث رسم الفنان تشكيلات من السحب على صورة بشعة تقترب من شكلها على هيئة رأس ضأن.

المرحلة الثانية : التحليل الشكلي

قام الفنان (سلفادور دالي) في لوحته على تحطيم قواعد الفن السائدة ، والمألوفة بالنسبة لنا عن الفنون السابقة التي مارسها الفنانون الكبار. من خلال التشكيلات التي أحدثها الفنان من الخلط بين الأشكال ، والتمازج ، والتداخل فيما بينها ، وكذلك تحطيم الشكل ، واللون على نحو يمكن فيها الشكل ، والمعنى بصورة خيالية .

فتلك الأشكال الفنية الغريبة التي صاغها الفنان هي العناصر الأساسية التي تشكل الموضوع الأساسي للوحة ، من ناحية تشويه الشخصيات إلى حد التضخيم للأحجام مثل رأس الرجل وأذنه ، والإطالة لبعض الأعضاء الجسدية مثل اليد اليسرى للمرأة ، أو حد المبالغة في هيئتها ، وأشكالها مثل التكوين العام للوحة ، والشرائح من الجلد ، واللحم الممددة فوق الطاولة ، بالإضافة إلى الأشكال الغريبة الموجودة على اللوحة من الحامل أو

العامود الخشبيين الذي يسند الرأسين ، وكان الفنان أراد من هذا الحامل الخشبي أن يحمل الرأسين المتداخلين إلى الأعلى ، ويبقهم على نحو ثابت ، بعد أن بقيا مدة طويلة ، وتعبت الرقبتان من ذلك . وكان الرأسين تركا ينزلان أو يتدليان إلى الأدنى لشكلان ثقلاً بصرياً في عناصر اللوحة الفنية إلى أسفلها ، مما يقود ذلك إلى اختلال في الميزان البصري . والملاحظة الأخرى التي نود أن نشير إليها أن ذلك الحامل الخشبي قد لجأ إليه الفنان (سلفادور دالي) كرمز في الكثير عن الكثير من أعماله الفنية ، ومن جانب الألوان التي تحتويها اللوحة نرى أن اللون البني الترابي المحترق قد شكل اللون الطاعي فيها بالإضافة الدرجات اللونية المتوافقة لهذا اللون ، مع اللون الأحمر الذي يمثل لون الفستان ، ولون القطع المتناثرة في أجزاء اللوحة التي توحى بالدم ، والقتل ، وكذلك القيم اللونية للألوان المحايدة التي ساعدت على إظهار كآبة وبشاعة العناصر المرئية، فعلى الرغم من بشاعة وخرابة العناصر المشككة ، إلا أن هذه اللوحة تحمل جمالا ، وروعة مكنونين ، وقد قدمها الفنان على هيئة حلم أو رؤية مختزلة مجردة من الواقع ، لتفصح أسرارها عن أقنعة الزيف الذي يتخيل في صورة ذهن الرائي من المشاهدة الأولى لهذا العمل .

المرحلة الثالثة : تحليل المعنى
أ- التحليل الداخلي أو الضمني

عندما نقوم بمحاولة الكشف عن أسرار تلك اللوحة ، وما تحمله من رموز ومضامين من خلال الخبرة البصرية التي نملكها في أشكال الحياة ، فإن العناصر الموجودة في اللوحة لا يراها إلا النائم في عالم الحلم . وكان الفنان (سلفادور دالي) كان نائما على سريره غارقاً في حلمه ، واستيقظ فرعاً من نومه أو كابوسه المخيف ، فوجد أمامه لوحة بيضاء جاهزة للعمل فأخذ ألوانه وفرشه وقام بتنفيذ ذلك الحلم الغريب على الفور . والفنان متأثر بشكل كبير بالأراء التي طرحها العالم النمساوي (سيجموند فرويد) صاحب النظريات النفسية ، الذي يرى أن عالم الأحلام والرؤية الخيالية في النوم تأتي نتيجة لضغوط الحياة اليومية ، والكبت الذي يتعرض له المرء . لذا قام الفنان بترجمة ذلك الحلم الذي يعد بنسبة له ضغطاً ، وكبتاً نفسياً

فقد يخيل للرأي عندما ينظر إلى اللوحة أن موضوعها الأساسي هو تصوير العلاقة الإنسانية بين زوج وزوجته على وجبة غداء أو عشاء ، ولكن عندما نعيد النظر مرة أخرى فيها نجد أنها تصادم الفكرة المسبقة في مخيلتنا. فالموضوع المضني في اللوحة هو الحرب . لأن الفنان (سلفادور دالي) قد عاصر المرارة والبؤس من جراء آثار الحرب العالمية الأولى ، فقد تجرع الألم من سقوط الادعاءات الكاذبة والزائفة التي روجتها الكتابات ، والخطابات السياسية ، التي تدعو إلى الحرب من أجل استمرارية الحضارة والتمدن أو التحضر . ولكن أدوات التحضر هذه قتلت الإنسان وأبادته ، وسلبت منه إنسانيته بصورة بشعة . وعندما رسم الفنان هذه اللوحة عام ١٩٣٦م كانت هناك بوادر حرب عالمية ثانية تلوح في الأفق . فاللوحة إذن تحمل معاني رمزية لموازن الحرب ، بين الدول أو بالأحرى بين دولتين ، فالعلاقة المتداخلة بين الرجل وزوجته برأس. توحى بالدلالة إلى العلاقة بين الدول القوية المتسلطة ، و الدول الضعيفة ، وتوحد الأفكار ، والمضامين والدعوات الزائفة على نحو يحمل التشويه والمسح في الوجوه والأشكال ، تلك العلاقة التي يملؤها الخداع والمكر ، فالأيدي التي وضعت بأسلوب رقيق ، والمتبادلة بين الطرفين توحى بذلك على هيئة إشارة التهديد ، وفرض القوة ولو بالسلاح كما في شكل الأيدي التي تحمل الشوكة والسكين والملعقة التي تنهش في الطبق الأبيض وكأن كلا منها يريد أن يأكل لحم الآخر ، إحياء على أن الحرب تدمر بنية البلد وتنهب خيراته وموارده الثمينة . فخلو الطاولة التي بين الزوجين من أطباق الطعام أو المأكّل . إشارة إلى خلو المضامين من تلك الادعاءات والخطابات الجوفاء ، والتي لا تمت إلى الحقيقة بصلة ، والتي كانوا ينادوا بها سابقاً. على الرغم من أنهما في وضعية يتبادلان الحديث المنمق والمهذب ، وفي دواخلهما الرؤية المختلفة ، والنوايا السيئة التي يكنها كل طرف منهما للآخر . فربما أوحى ذلك التداخل بين الرأسين بالتصادم أو العراك القادم بينهما.

ولو نظرنا إلى أسفل اللوحة ، لوجدنا تلك الأشلاء الملقاة على المائدة الخشبية ، والدبابيس المعلقة ، وكذلك قطع الجلد واللحم والكبد والكلى الأدمية . كرمزية إلى أدوات القتل والفتك بالإنسان ، أدوات سلبت من الإنسان إنسانيته ، والأضرار التي تخلفها الحرب

من جراء ذلك صحراء مقفرة وفقير ومرض ودمار وهلاك ، في كل شئ كما صوره الفنان في خلفية الزوجين . أما السحابة التي رسمها الفنان بشكل وحشي غير معهود في كثير من لوحاته فهي دلالة على التحذير الذي يحمل رسالة الحرب العالمية الثانية القادمة . لذا عمد الفنان إلى تجريد الواقع بتلك الحقائق ، وفضحها بما تحمله وراء الأفتعة المتخفية . فاللوحة إذن في مجملها تصور تجربة الحرب ، وخلصتها لحياة الإنسان الذي يأكل أخيه الإنسان . ويصور معاناة الفنان نفسه ، والأضرار التي أصرتة من الحرب العالمية الأولى ، والندير المشؤوم لقدم حرب أخرى.

ب- التحليل الخارجي أو غير الضمني

بعد ما كانت الحركة الدادية ظاهرة بارزة في أوروبا ، والتي كان أساس قيامها هو رد الفعل على الظروف الاجتماعية والثقافية ، التي كانت نتاج الحرب العالمية الأولى ، وكانت تقوم على الأفكار العبثية ، والفوضوية ، والسخرية من كل القيم والمثل العليا في الأدب والفن. وانتقلت ظاهرتها إلى المدن الغربية الأخرى . فعندما وصلت الحركة إلى باريس . كانت هناك نواة لحركة فنية جديدة تتشكل تسمى بالحركة السريالية ، وكان المنشأ الأصلي لها هو التيار الأدبي الذي تبناه الشاعر الفرنسي (أندريه بريتون) ، الذي رفض ، وجماعته بشدة القبول لهذه الأفكار العبثية التي لم تطرح حلولاً واضحة للعملية الفنية . وفي عام ١٩١٩م توقف نشاط الدادية . ومن ثم سعى الشاعر(بريتون) إلى نقل الفنانين من المرحلة الدادية إلى المرحلة السريالية ، وبدأ الاهتمام الجديد للحركة يتشكل ليشمل المسائل الأدبية والفلسفية والنفسانية والفنية في مجال الرسم والتصوير والنحت ومن بعدها عمدت الحركة إلى الدخول في القضايا السياسية العامة ، وبدأت تطرح الأفكار المتضمنة الدعوة نحو الثورة الاجتماعية في العقل والفكر ، وأن أعمال الفكر لا بد أن تسهم في تغيير العالم .

